The War as a Catalyst in Iraqi Feminist Fiction (An Example: The Novel "Saa'at Baghdad" by Shahad Al-Rawi)

Assistant Professor Fatima Hussein Karnoot
Iraqi Ministry of Education / Basrah Education Directorate
E-mail: fatimakarnoot@basrahaoe.iq

Abstract:

The theme of war has permeated a wide expanse of women's creative work, making a significant impact on the narrative of Iraqi expatriate women. These authors have undertaken the task of documenting human suffering and depicting the dire reality resulting from the senseless wars in Iraq. Iraqi women writers have explored the subject of war as a powerful element affecting the lives of individuals and communities. They aimed to illustrate the profound impact of the harsh and continuous wars on human lives and psyches, leading to negative consequences for the Iraqi people as a whole. Women have approached the theme of war with a degree of freedom that allows them to express their views openly, away from subtlety or symbolism. They have criticized and exposed the political system as the main cause of all the wars that have befallen Iraq, portraying the consequences and destructive material and moral effects of these wars on both individuals and society. These novels have served as a clear condemnation of the power of war and the arbitrary nature of its political system, which has transformed into a means of terror, oppression, and legalized, unyielding, and sanctioned killing.

This research focuses on the study of the novel "Saa'at Baghdad" by the Iraqi expatriate writer Shahad Al-Rawi. The study consists of two main axes, preceded by a theoretical introduction that briefly highlights the theme of war in Iraqi women's fiction. The first axis explores the emergence and development of Iraqi feminist fiction after 2003. The second axis focuses on the portrayal of war and its effects on the characters in the novel "Saa'at Baghdad".

Keywords: Feminist fiction, war, exile, Shahad Al-Rawi, society.

الحرب باعث إبداعي في الرواية النسوية العراقية
(رواية ساعة بغداد لشهد الراوي "أنموذجاً")

المدرس المساعد فاطمة حسين كرنوت
وزارة التربية العراقية / مديرية تربية البصرة
E-mail: fatimakarnoot@basrahaoe.iq

الملخص:

شاعت ثيمة الحرب على مساحة واسعة من الإبداع النسائي، فقد كان لها حضورٌ فاعلٌ في رواية المرأة العراقية المغتربة، التي أخذت على عاتقها رصد المعاناة الإنسانية، وتجسيد الواقع المأزوم الذي نتج عن الحروب العبثية في العراق، اتجهت الكاتبة العراقية إلى موضوعة الحرب بوصفها عنصراً مؤثراً في حياة الفرد والجماعة فقد حاولت إظهار الأثر الأكبر للحروب القاسية والمتواصلة في حياة الإنسان ونفسيته، وما أفرزته من تراكمات أثرت سلباً في الشخصية العراقية عامة، فقد تناولت المرأة موضوعة الحرب بفيض من الحرية التي منحتها الحق في التعبير بعيداً عن أسلوب التلميح أو الرمز، فنراها تنتقد وتفضح المنظومة السياسية وتكشف عن السبب الرئيس لكل ما حلّ بالعراق من حروب، وتصوير تبعات تلك الحروب وآثارها المادية والمعنوية المدمرة للإنسان والمجتمع على حد السواء، وقد شكّلت هذه الروايات إدانة فاضحة لسلطة الحرب وتعسف منظومتها السياسية بعد تحولها إلى وسائل إرهاب وقمع وقتل ثابتة ومشرعة.

اهتم هذا البحث بدراسة رواية ساعة بغداد للكاتبة العراقية المغتربة " شهد الراوي" وقد تكوّنت الدراسة من محورين سبقهما بمدخل نظري سلط الضوء في موضوعة الحرب في رواية المرأة العراقية بشكل موجز، اختص المحور الأول بدراسة نشأة الرواية النسوية العراقية وتطورها بعد عام ٢٠٠٣، في حين ركز المحور الثاني على صور الحرب وآثارها على الشخصيات في رواية ساعة بغداد.

الكلمات المفتاحية : الرواية النسوية ، الحرب ، المنفى ، شهد الراوي، المجتمع.

مقدمة :

تُعد رواية ساعة بغداد للروائية العراقية " شهد الراوي " من الروايات الحديثة التي صدرت بعد سقوط بغداد وتحديداً في عام ٢٠١٦، فقد استلهمت أجواءها من مآسي الشعب العراقي ومعاناته في ظل الحروب إذ صورت تراجيديا القتل والدمار، وما تمخض عنها من العنف ودوره في إعاقة التعايش السلمي في المجتمع العراقي، تدور أحداث هذه الرواية في محلة راقية من أحياء بغداد في عقد التسعينيات من القرن الماضي ترويها طفلة صغيرة وجدت نفسها مع عائلتها في ملجأ محصّن ضد الغارات الجوية الأميركية([1])، التي سحقت برحاها الأخضر واليابس، وما زالت تدور رحاها بلا هوادة، لقد انشغلت هذه الرواية بتجسيد صورة الحرب وما رافقها من أساليب العنف المتنوعة، وما مارسته المنظومة العسكرية ضد أبناء الشعب العراقي، عرّت بشاعة الحرب وما تركته من آثار نفسية لا تُحمد عُقباها، فهي تعالج مسألة انتهاك حقوق الإنسان وغياب الحريات وذلك عبر صور متنوعة تعكس سياسة القتل والدمار المتبعة آنذاك، كل ذلك من خلال مدونة تأريخية سياسية اتخذت من الحرب موضوعاً لها تكشف عن نتائجها السلبية في بنية المجتمع والفرد.

مدخل :

تُعد الحرب من أشد التجارب البشرية وطأة على الإنسان وأكثرها شراسة وتناقضاً ودرامية، بل هي من أغنى الأحداث وأوسعها تدميراً لكل ما له قيمة إنسانية، تزامن وجودها مع وجود الإنسان على الأرض ولا يمكن أن تتوقف طالما أن الشعوب تعيش في ظروف متباينة ،وطالما أن حياة الأفراد لها وزنها المختلف في كل أمة([2])،((ولما كان الأدب نتاجاً للواقع الذي يعيشه الفرد وتمثيلاً لبيئته، كان من الطبيعي أن يكون للحرب حضورها الفاعل وأن تمتد على مساحة واسعة من خارطة الإبداع الإنساني شعراً ونثراً فمنذ الملاحم الأولى والحرب تتبادل التأثر والتأثير مع الأدب، إذ أمدته بمضامين وأفكار متنوعة، فأثر الحرب لا يقف عند حدود الخسائر البشرية والمادية... بل تتسع مدياتها لتشمل بنية الإنسان والمجتمع جميعها، حيث تتجلى في السلوك والعلاقات والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك النصوص الأدبية))([3]).

لقد مثلت رواية القرن الواحد والعشرين نقطة تحوّل كبيرة في الرواية العراقية عموماً والنسوية منها على وجه التحديد ،لاسيما بعد التحولات الكبيرة التي شهدها العراق والعالم العربي، انعكست بوضوح على السرد الروائي العراقي تحديداً عند أدبيات المنفى، اللواتي تركن العراق اختياراً أو إجباراً لأسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية([4])، تظافرت هذه الأسباب فيما بينها حتى انتجت مناخاً ملائماً لكتابة رواية الحرب، علاوة على أن العراق شهد حرباً كانت هي الأطول في القرن العشرين، فقد كثرت حروبه وتقاربت سنونها، وقرّت في متوقع سكانه، مما يجعل من الصعب أو المستحيل الإفلات من تأثيراتها في الأدب العراقي،

داخل العراق وخارجه(٥)، لذلك فمن الطبيعي((أن تشهد موضوعات الرواية كما هو شأن الجوانب الفنية والشكلية الأخرى، متغيرات جديدة وجدت لثلاثة أسباب رئيسة، الأول هو أن الأدب عموماً في طبيعته يؤثر ويتأثر في البيئة التي يظهر فيها، والثاني أن الرواية هي فن المدينة، ولما كانت المدينة بمجتمعها دائمة التغير كان من الطبيعي أن تستجيب الرواية أكثر من أي فن آخر لهذه المتغيرات، والثالث هو أن السنوات التي شهدت الاهتمام بالرواية قد شهد متغيرات في الإنسان والبنى والنظم السياسية وفي القيم والعلاقات الاجتماعية، فكانت الرواية خير شاهد على ما جرى للإنسانية من أذى وتعذيب، وخصوصاً فيما لحق بالأبرياء من دمار وما أسفرت عنه الحروب من قتل وتهجير، وإساءة للإنسان وقيمته))(٦).

لقد عاشت المرأة العراقية قلقة وخائفة مما يحيط بها من ويلات سببتها الحروب المتلاحقة ولاسيّما أن الحرب تركت أثراً في كل منزل من القتل والتهجير والخطف، فكانت "المرأة "هي الخاسر الأكبر في الحروب لذا ركزت على هذه الأيقونة في رواياتها وعبّرت عنها بشكل مغاير تماماً عما كانت عليه الحال قبل عام " ٢٠٠٣ "،إذ اتخذت من موضوعة الحرب وسيلة مهمة لعرض معاناة العراقيين النفسية والإنسانية جراء تلك الحروب وما عانته المرأة العراقية على وجه الخصوص، وما أسفرت عنه الحرب من تبعات سلبية لها وقع كبير في حياة النساء والرجال آنذاك، عبّرت المرأة العراقية من خلالها عن بطش السلطة الحاكمة، فعرضت المظاهر السلبية للنظام السياسي بشتى أنواعها(٧).

ولاريب أن المرأة قد وظّفت أيقونة الحرب بشكلٍ كبير في مجالها الإبداعي، وعبّرت من خلالها عن وجهة نظرها فيما يدور حولها من أحداث الحرب والطائفية في العراق، وقد لاحظنا أن توظيف موضوعة الحرب في رواية المرأة العراقية تحديداً يختلف تماماً عمّا تناوله الرجل في روايته*، فهناك سمة (نسوية) مشتركة جمعت بين الروائيات العراقيات اللاتي كتبن في رواية الحرب وهي الابتعاد عن جبهات القتال، وساحات الحروب، والاكتفاء((بتجسيد أثر الحرب النفسي والاجتماعي والاقتصادي وما سواه، في حياة الفرد العراقي، ويعود السبب في ذلك إلى بُعد الكاتبة عن ميادين الحرب وساحاتها))(٨) لكونها امرأة، لذلك فقد عرضت موضوعة الحرب وكشفت عن زيف تلك الشعارات الدعائية والأيديولوجية والحماسية _التي ظهرت في نصوص روائية كثيرة وتحديداً قبل سقوط بغداد_ وتحدثت عن الحرب بوصفها أيقونة الخراب والدمار الذي عمّ البلاد، إذ كان هدفها الأول التعبير عن التجربة الإنسانية العامة وهي تتعرض إلى شراسة تجربة الحرب(٩).

المحور الأول: تطور الرواية النسوية العراقية بعد عام ٢٠٠٣

إن الخريطة العامة للروايات النسوية في المحيط العربي أصبحت واسعة الانتشار، تتماز بكونها متداخلة ومشتبكة المضامين لتعطي انطباعات نقدية باستمرارية الكتابات الروائية منذ العقدين الأخيرين،

فتتشكّل وتنتشر بمعطيات ثيمات اجتماعية وسياسية جديدة أكثر تعقيداً مما مضى، ولاسيما بعد ظهور ما يسمّى بثورات الربيع العربي، وما رافقها من تغييرات سياسية وما نتج عنها من سلوكيات غريبة ومتزمتة في البنى الاجتماعية، وتمظهرات مختلفة في السلوكيات المجتمعية بشكل عام كالإرهاب والحروب الطائفية وغيرها، فقد كانت محاولة لإعادة نتاج القديم بشكل آخر على المستويات كلها، وهذا أمر ليس بالسهل متابعته في سرديات المرأة العربية التي واكبت مثل هذه التحولات، واغتنت مرويّاتها بالأحداث المؤلمة والقصص الغريبة والحكايات والمشاهِد والرؤى الموجعة([١٠]).وهكذا أسهمت الكاتبة العربية في أن تكون ضمن سباق التحديث المستمر في النتاج السردي الإبداعي؛ وذلك من خلال رؤى وتطلعات جديدة وعلاقات سردية تتضام مع الواقع المعيش.

وفي المشهد السردي العراقي تميزت الرواية النسوية بعد عام ٢٠٠٣ بالنضج، إذ ظهرت تجارب روائية عميقة ومتعددة، تمثل نبض هذه المرحلة، وكينونتها، وانعكاساتها بوصفها مرحلة جديرة بالانفتاح والتوسع؛ نظراً إلى توسمها بالحرية، لذا فقد حدت النفس الإنسانية لمغايرة المألوف بما ينسجم واتساع الحياة عبر السير برؤى التطور والحداثة، فضلاً عن تقديم رؤى زاخرة بالتنوع تبحث عن الاختلاف والخصوصية، من أجل ترسيخ بنى معرفية تنتقل من الفرضيات المجردة إلى نتائج جديدة تشكّل الأدب في معمارية جديدة. وحين اتسعت هذه المرحلة بتعدد الأزمات، كان النجاح حليفاً لمن أرشف للألم العراقي ومن جسّد التفاعل والتواصل بين ماضيه وحاضره، فقد كتبت المرأة العراقية بطريقة حداثية استمدت رؤاها من مخيلة الألم العراقي في رصد وتجسيد المعاناة الإنسانية والوجع الفردي الذي سببته الحروب([١١])، وواقعها المأزوم حتى أفرزت رواية نسوية تتسم بمعالجة القضايا الإنسانية التي تعيد وجود الإنسان وثقته، فأخذت تعالج المشكلات وتقدم الحلول، وتتبنى المواقف التي تدافع بها عن حقوق المرأة بشكل خاص.

عبّرت الكاتبة العراقية في رواياتها بشكل عام عن تجاربها الشخصية والتجربة العراقية الجماعية كذلك،((وإن أصوات هؤلاء الكاتبات اللواتي يتعاملن مع الحياة في ظل ظروف قاسية تسلط الضوء على الدمار والألم والنضال الذي يعيشه العراق في حالة الحرب والاحتلال. تسلط هذه الأصوات ضوءاً فريدًا على عواقب وخطورة الحرب والعقوبات والنفي الذي شوه تاريخ العراق الحديث. وكان للواقع التأريخي والسياسي للعراق منذ الاستعمار البريطاني آثار عميقة على الشعب العراقي ،لكن الحروب الحالية هي التي تهم الكاتبات العراقيات المعاصرات على وجه التحديد ، لدرجة أنهن جعلنها النقاط المحورية في رواياتهن))([١٢]).

أظهر السرد النسوي العراقي انسجاماً واضحاً مع موضوعات الأدب النسوي وتبناها نصياً، إلا أن وعي الكاتبة العراقية جعلها تبطئ قليلاً في تمردها على الثقافة الذكورية دراية منها بواقعها الاجتماعي الذي قد يمارس ضدها إرهاب الفحولة، في محاولة منه لإرهاق نصها الأدبي واساءة معاملته، لكنها نجحت في

عبور حقل الإرهاب الثقافي** وهي تبحث عن جمال سردها النسوي، فركزت على التلاحم بين " الخاص النسوي " و" العام الاجتماعي" بكونهما بنيتين متداخلتين مع نصوص شتى عبر انفتاحه على التأريخي والأيديولوجي، لذا فقد اتسم السرد النسوي بنكهة خاصة تختلف في مذاقها عن الأدب النسوي العربي والعالمي، فقد تميز بسمات كرستها الأحداث الاستثنائية الكبرى التي شهدها العراق([١٣]).

ويرى النقاد أن الانفتاح الجديد عبر الحرية والتخلص من سطوة السلطة القامعة، أدى بالنتاج الأدبي بصورة عامة والنتاج النسوي بصورة خاصة إلى ضرورة المغايرة؛ ولم يزدهر الإبداع الحقيقي إلا في الحقبة الزمنية التي انتهى فيها عنف السلطة، ومن هنا مُنح المبدعون حرية الكتابة والنهل من أرشيف المقموعين والغوص في قضاياهم وإخراج مكنوناتهم([١٤])، وقد استطاع السرد النسوي العراقي بعد عام ٢٠٠٣ أن يحدد ملامح الاختلاف من خلال التمرد على الأنماط السردية التقليدية، وقد حقق إضافة جادة إلى المشروع الروائي وحضوراً نوعياً في الإثراء والرصد، إذ شكّل هذا السرد نصوصاً متميزة ترتكز على الحركة والتغيير، فكرّس أنماطاً جديدة تستند إلى الملمح الجمالي والفني، فقد نظرت الروائية العراقية في عملها الأدبي وعملت على إضفاء صياغات جمالية له([١٥]).

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الكاتبة العراقية لم تنصرف عن القضايا الذاتية على حساب القضايا الإنسانية الأُخر، فنجد أن هموم المرأة، ومعاناتها، وما تسعى إليه من أفكار ليست بمعزل عن واقعها المعيش، بل كانت مأخوذة من صلبه وصميمه، لذا عبّرت الكاتبة العراقية عن قضايا عدة تشترك فيها مع الرجل، مثل قضايا الحروب والنضال السياسي، وأزمة الوجود، وغيرها...([١٦]). وقد((دار الإطار السردي والبنية الروائية في الروايات النسوية العراقية حول الإبداع النسوي، واستطاعت الروائية بمقدرتها أن تظهر ملامح النتاج النسوي بعد التغيير، وأن تحدد طبيعة هذا الإبداع، الذي ساير التطور الحاصل، وأثبتت جدارتها أنها روايات لا تعرف السكون؛ بل إنها نتاج الوعي والفكر، فكانت ثمة دماء جديدة تبحث عن الهوية الوطنية والإنسانية، فضلاً عن المزاوجة في الألم قبل التغيير وبعده، بما اختمر في الذاكرة؛ ذلك أنها عاشت قبل النتائج بسبب سيول العنف والاضطهاد، وما زالت داخل المشهد وهي تعانيه في تأنٍ وتأمل...فثمة طموح سردي للعبور بالرواية ولا سيما بعد تحرر الكلمة من سلطة الرقيب، وانفتاح المرحلة بالحركة والحرية))([١٧])، وبناءً على ذلك شكّلت الرواية النسوية العراقية منعطفاً في مسار السرد الروائي، وذلك من خلال توظيف الضرورات الفنية التي تكشف عن إبداعها((في ذروة ممارساتها التخيلية، معلنة عن خطاب يُدين الواقع ويعرّيه، ويفضح المسكوت عنه عبر تمظهره المرير والمفجع في تفاصيل الحياة اليومية للإنسان المقهور والمقموع))([١٨]).

ولعل من أبرز الاتجاهات في روايات المرأة العراقية هو إحساسها المستمر بالالتزام تجاه محنة أبناء وطنها، ومن هنا نلحظ أنها استعملت قلمها للتحدث علناً ضد الظلم الذي يعاني منه شعبها، وقد تم الكشف

عن معاناة وألم عامة الناس في رواياتها وقصصها. وعلى سبيل المثال، تضمن الكاتبة "هدية حسين" في روايتها (نساء العتبات)- التي صدرت في عام (٢٠٠٩)- قصصًا لنساء عانين بشكل خاص من الوضع الصعب في زمن الحرب في العراق، وهي كذلك تتضمن حكايات أُخر عن نساء فقدن أبنائهن جراء الحرب أو الإعدام كما يتجلى في روايتها هذه. في حين تروي " لطيفة الدليمي " عن الوضع الذي ساد العراق بعد الغزو الأخير في روايتها (حديقة حياة) التي صدرت في عام (٢٠٠٤)، في حين تقدم إلينا رواية (تحت سماء كوبنهاغن) للكاتبة " حوراء النداوي" هوية هجينة مشكّلة لفتاة عراقية تعيش في الدنمارك وتعقيدات جنسانية تضطر الشابات العراقيات إلى التفاوض داخل المساحة الضيقة التي يجدن أنفسهن فيها، ومن المثير للاهتمام في هذه الرواية أن صوت الرجل حاضر بشكل متساوٍ ، ومن خلال هذا الصوت يتم الكشف عن محنة المرأة العراقية التي فقدت ابناءها في الحرب([١٩]).

المحور الثاني : صور الحرب وآثارها في رواية ساعة بغداد

تمثل الحرب موضوعاً رئيسياً ومحوراً للحبكة الروائية في رواية ساعة بغداد، فقد عاشت الكاتبة ظروف الحرب القاسية وعانت ألمها كثيراً حتى جعلت من روايتها مرآة تعكس صورة الواقع الحقيقي لمجتمع مثقل بالحروب والنكبات، ولاسيما في العقود الأخيرة التي لم يرَ فيها إلا الويلات والمآسي ابتداءً من حرب السنوات الثماني وصولاً إلى سقوط بغداد، فقد واكبت الرواية حملة التغيرات والتحولات السلبية التي أوصلت جيلاً من الأدباء والأديبات إلى حالة من القلق والكآبة انعكست في جُل أعمالهم الروائية، و((من المعروف إن الرواية هي فن المدينة، ولما كان مجتمع المدينة بطبيعته أكثر المجتمعات تغيراً واستجابة للتجديد وتمثلاً للتحولات، فكان من الطبيعي أن تعنى الرواية في استجاباتها بمتغيرات المجتمع المدني وتحولاته بفعل التغير وما ينتج عنه، والرواية العراقية ليست استثناء من هذا التعميم الصحيح إلى حد كبير، فقد كانت دوماً مستجيبة للمتغير، ولاسيما لما شهده المجتمع العراقي من تحولات، وأكثر ما اتضح ذلك من خلال الحرب العالمية الثانية، ثم في النصف الثاني من السبعينيات، وفي سنوات الحصار، وأخيراً بعد سقوط بغداد...ويغلب على تلك الروايات التغيرات والتحولات الحاصلة في المجتمع سلبية، أو إن المواقف منها كانت سلبية، ربما بسبب كون المجتمع الروائي جزءاً من المجتمع، ومن ثم فإن الرواية تعبير عن متغيراته))([٢٠]). وهكذا تأثرت رواية ساعة بغداد بالمتغيرات السلبية التي أصابت المجتمع أثناء الحروب فعبّرت عن آثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية وما تمخض عنها من تبعات زرعت شظايا من الألم في وعي الإنسان العراقي على وجه الخصوص،((بكل قضاياه ومشاهداته ومواقفه وأفكاره التي تطرحها الرواية بصور متعددة ومتنوعة وأحياناً متشعبة تماماً كتشعب الأحداث المتلاطمة التي عصفت بالمجتمع العراقي طيلة ما يزيد عن أربعة عقود))([٢١]).

صورة حرب الخليج الثانية:

تُعد حرب الخليج الثانية الممتدة من غزو الكويت إلى سقوط بغداد، من أهم الأحداث التي زلزلت الأرض تحت أقدام الإنسان العربي، فحركت المياه الآسنة في بركة الوطن العربي، وأنها لا تقل شأناً عن معظم الأحداث التي وسمت مراحل مهمة من تأريخ العرب، وخلقت قطائع تأريخية وإبستمولوجية في فكرنا العربي، أما على الصعيد الخاص فقد كان تأثيرها أكبر في واقع الفرد العراقي، وذلك أن معظم ما يعيشه الإنسان العراقي اليوم ليس سوى انعكاسٍ لما شهده من هزات ارتدادية لزلزال الحروب المتتالية وتبعاتها([٢٢]). وقد سارعت الرواية النسوية العراقية والرواية المدروسة تحديداً لالتقاط معظم ذبذبات ذلك الاهتزاز؛ بكونها جنساً أدبياً له قدرة على احتواء الأحداث التأريخية والسياسية المهمة كلها، ومعالجة القضايا الإنسانية والوطنية والقومية، فقد كانت هذه الرواية قادرة على توظيف الحرب في التعبير عن الحجم الأنسب من المعاناة التي عاشها الشعب العراقي، بوصفها الوسيلة الأقرب للكشف عمّا يختلج في صدر المرأة العراقية وهي تشاهد شظايا الحرب تدمر كل ما هو موجود في وطنها. وقد اعتمدت رواية الحرب في ساعة بغداد على تتبع معاناة مجموعة من الفتيات والشباب خلال حربي الخليج الثانية والثالثة، ورصدت معاناتهم ولاحقت انفعالاتهم وهواجسهم أمام حرب طاحنة وموت حتمي متربص بهم في كل لحظة وفي كل مكان، وقد قامت الرواية على رصد الأفعال وردودها في بناء شخصيات قلقة مأزومة تعاني من الصراع النفسي بين الخوف من الموت والتشبث بالحياة.

يفتتح النص الروائي رحلته في البحث عن الأمان، هرباً من الخوف الذي زرعته الحرب في نفسية الفرد العراقي، فنجد أن بطلة الرواية" الطفلة الساردة" وعائلتها وجيرانها وكل من حولها يحتشدون في الملاجئ، إذ خلت البيوت من ساكنيها، رحيل جماعي نحو الملجأ ذلك المكان المُعدّ في الطبقة السفلى من الأرض، الذي يلجأ إليه الناس في زمن الحرب طلباً للأمان والخلاص من خطر القذائف أو الغارات الجوية ،أصبح وطناً بديلاً يبعث في نفوسهم شعور الأمان، ويقلل من الخوف الكامن في الأعماق، وقد بدا ذلك واضحاً في قول بطلة الرواية:((**في الليلة الثانية، قبل أن تغيب الشمس بقليل ، جئنا مع أهلنا من البيت إلى الملجأ، وقبل أن ندخل رحنا نلعب سويّاً على درجات السلم الصغير الذي يقودنا إلى داخل المكان... في هذه الأثناء دوّت صفارة الإنذار التي لا أحب صوتها، ولا يحب صوتها الناس. أمسكت بيدها وهربنا نحو المكان الذي تجلس فيه أمي وأمها، تعثرت قدماها بالفانوس الكبير الذي يتوسط أرض الملجأ وانكسرت زجاجته، تجمدنا في مكاننا وسط الظلام ...بعد قليل، سمعنا أصوات القصف الشديدة التي أعقبت صفارة الإنذار، انفجارات عنيفة تقترب منا شيئاً فشيئاً ثم تعود لتبتعد، تقترب مرة أخرى وتبتعد، تموجت الأرض بنا مثل بساط خفيف. في هذا الوقت انشغلت أمهاتنا مع أنفسهن بقراءة الأدعية وترتيل سور من القرآن**))([٢٣]). قبل غروب الشمس تشهد أغلب مناطق بغداد هجرة مؤقتة نحو

الملاجئ، في هذه الأماكن الصغيرة يتمظهر البحث عن الأمان في صور عدة فنرى أن ذلك الملجأ يمثل الملاذ الآمن الذي تلجأ إليه بطلة الرواية ومن حولها، فتغمرها مشاعر الفرح المتأتية من اللعب على درجات السُلّم الصغيرة مع الفتيات الأخريات، تختلط هذه المشاعر فيما بعد بما يقابلها من الخوف والألم نتيجة الانفجارات العنيفة التي تهتز الأرض لشدة وقعها، وهنا تخبرنا البطلة برعب الحرب وأثرها الكبير فالأرض أصبحت كالبساط تتموج يميناً ويساراً بخفة شديدة تثير الخوف في نفوس السُكان، وفي صورة أخرى يتمثل الأمان في دعاء الأمهات اللواتي يرتلن سوراً من القرآن الكريم وما من شأنه أن يبعث السكينة ويبث روح السلام في ظل الأجواء المفعمة بالرعب والقلق.

تعترض الحرب أحلام مجموعة من الفتيات اللواتي يبحثن عن الأمان في حفرة تحت الأرض برفقة عائلاتهن، بعد أن أصبحت أرض الوطن رقعة جغرافية غير مؤهلة للعيش، فما بين صفارات الإنذار التي تُنذر بالموت، وما بين الانفجارات التي دمرت كل شيء تتمنى " الطفلة الساردة" أن تُنفى من هذا العالم إلى عالم آخر، كما لو أن هناك قوة خارقة تنقلها من ظلام الملجأ إلى عالم الفردوس المفقود، عالم يفيض بالسلام والأمان؛ ونظراً إلى ما تثيره الحرب من حال رعب، و خوف يطفو إلى السطح، أصبحت جُل أمنيات هذه الفتاة أن تهرب من جحيم الحرب إلى وطن آخر يوفر لها أبسط مقومات العيش بسلام، فتقول:

((وفكرت أنا أن أختفي من هذا العالم ، نهضت أمشي في الظلام اقتربت من أمي:

ماما؟

نعم يا حبيبتي... تعرفين ماذا أريد منك؟

ماذا تريدين؟ أريد أن لا أكون موجودة في هذا العالم.))(٢٤). وفي هذا النص إشارة واضحة إلى شفرة الطفولة الممزقة في أتون الحرب، فالساردة تمثل أنموذجاً للطفولة المعذبة في رفضها الحرب بوصفها فعلاً غير إنسانيٍّ يقف ضد الحياة ويُنذر بمستقبل مظلم عنوانه التشرد والجهل فضلاً عن التأرجح بين الحياة والموت، إذ إن الحرب تشكل عاملاً أساساً في خلق طفولة منكسرة ومعذبة في آن واحد، فقد بات معظم الأطفال في بيئات الحرب يتعرضون إلى أزمات نفسية بعد أصبحوا ضحايا لنكبات الحروب في أوطانهم، وهذا ما يحدث في العراق تحديداً فالنص الروائي يشير في معناه إلى أن معاصرة الأطفال عموماً لأجواء الرعب والخوف والقتل الناتجة عن الحرب يخلق صدمات واضطرابات نفسية كفيلة بتشويه معنى العالم من حولهم، وعندما يفقد الطفل الشعور بالأمان في وطنه تصبح مشاعر الإحباط واليأس والخوف نتيجة حتمية تسهم في خلق طفولة ممزقة.

ففي أعماق الملجأ الذي يشبه " حوتاً كونكريتياً " كبيراً تتحرك على جدرانه خيالات الطفلة، تعرفت الساردة إلى صديقتها " نادية" في كانون الثاني عام (١٩٩١) حيث كانت سماء بغداد تحترق بالطائرات والصواريخ، بحثاً عن الأمان المفقود في ذلك المكان الرطب _المحصن ضد حرب الخليج الثانية _تقضي

الطفلتان أوقاتهما بحثاً عن وطن بديل يمنحهما دفء العيش، فقد عاشتا في هذا الملجأ أكثر من عشرين ليلة لا تنسى، ليالٍ امتزج فيها الخوف، والبرد، والترقب والمصير المجهول:((**قضينا أكثر من عشرين ليلة في الملجأ، عشنا خلالها الخوف ، والبرد، والترقب، واللهو ، واللعب ، والأحلام، لم نكن نعرف وقتها ماذا كان يجري من حولنا، لم نفهم ساعتها ماذا كانت تعني الحرب**))([٢٥]).

لقد أصبح الخوف من الحرب هاجساً مدمراً في نفسية الإنسان العراقي، فكأنها مرض مزمن علق به الجميع ولاسيما البطلة فلا تستطيع التخلص منه، تقول: ((**أنا لا أفهم في السياسة، ولا أريد أن أفهم شيئاً، لكنني لا أحب الحياة في الملجأ، لا أحب أن أرى البنايات يتهدم بعضها فوق بعض، لا أريد للجسور أن تسقط قتيلة في الماء، لا أريد أن يهتز بيتنا من وقع اصطدام الصواريخ بالأرض، لا أريد أن أموت، ولا أريد أن يموت غيري. هل أنا خائفة؟**))([٢٦]). ما زال الخوف يسيطر عليها فنراها خائفة من الموت الذي يحيط بها، فهذه الحرب خلقت تراكمات نفسية تمثلت بالخوف والهلع، وما رافقهما من السهر والجوع والعطش وكوابيس لا تفارق نومها، فقد سرقت منها الحرب سنوات ليست بالقليلة، كما أنها تركت ذاكرة معبأة برائحة الموت لا تُمحى أبداً. وعلى أثر ذلك تتكفئ البطلة على ذاتها تصارع خوفها و تجتر تساؤلاتها المرة _التي تعكس واقع الفرد العراقي آنذاك_ وحين ينعدم الجواب المقنع تغرق في دوامة من اليأس:((**هل هناك أقبح من الحرب؟ كم هو قبيح هذا العالم الذي يتفاهم بالحروب والحصارات ما معنى الحضارة ونحن نجوّع الأطفال والكبار ثم نرميهم بالصواريخ؟ ما معنى أن تتقدم البشرية وهي لا تزال تبتكر أكثر وسائل الموت الجماعي فظاعة؟ هذه ليست أسئلة سياسية معقدة، هذه ببساطة أسئلة الإنسان الذي يخاف، نعم أنا أخاف وارتجف من شدة الخوف... من هذا الخوف وحده تتأسس حضارتي الشخصية التي تكره الحروب**))([٢٧]).تتجلى أسئلة الحيرة والإدراك بشكل واضح في النص الروائي، فنجد أن الكاتبة تتأرجح فلسفياً بين الواقع من جهة ومرارة إدراك بشاعته المرعبة ولا إنسانيته من جهة أخرى، إذ تكشف بتقنية روائية عالية عن رؤى وأفكار تعري مرارة الظروف التي عايشتها هي وابناء جلدتها خلال مسيرة حياتها كفرد ينتمي إلى مجتمع خاضع للظروف التي غالبا ما ترتقي لمرتبة المأساة أو الفجيعة، لتكوّن بذلك اسئلة حيرة بإدراك تام منحت نصها طابعاً روائياً يفصح عن خصوصية عالية في أرشفة تاريخ المرحلة المعاشة.

تنتمي البطلة إلى جيل وُلد من رحم الحروب العبثية التي عاشها العراق، ففي طفولتها المكتوية بنار الحرب، تلملم شظايا أشتات جيلها، وتدوّن تأريخ هذا الجيل بأكمله:((**أنا ونادية ولدنا في حرب السنوات الثماني، تعارفنا في عاصفة الصحراء، كبرنا في سنوات الحصار وحرب الخليج الثانية، تناوب على طفولتنا بالصواريخ والأسلحة المحرمة جورج بوش، وابنه جورج دبليو بوش، في حين أن بيل كلنتون والعجوز مادلين أولبرايت تكفّلا بتجويعنا، وعندما كبرنا كان الجحيم يجلس في انتظارنا**))([٢٨]). اتسعت

تلك الحروب لتحرق كثير، وتعاظمت كلفتها لتخلق مأساة في كل مكان ما يصعب معه إغماض العين عن فجائعها، وقد كان لها ثمنها الباهظ في تدمير ذلك الجيل، الذي جعلته يلهث خلف ركب البلدان الأخرى باحثاً عن فسحة من الأمان والحرية، ولم تكتفِ بهذا فقط بل أثقلت الحياة على مدى أجيال متلاحقة، ولعل أكبر الخسارات التي خلفتها الحرب هي خسارة الأصدقاء والجيران فقد عاشت الساردة أياماً مثقلة بالحزن جراء مغادرة كثير منهم خارج العراق وقد كان في مقدمتهم صديق طفولتها " نزار " الشخصية السكونية التي تعجز عن القيام بأي فعل لمواجهة الواقع وتغييره([٢٩])، فتحاصره كوابيس الحرب وقسوة الحصار ما جعله ينكفئ على ذاته متخذاً من الهرب وسيلة لمواجهة عجزه وفقدان قدرته على الاستمرار في العيش بين أسوار الوطن المضطهد، لقد كان رفيق رحلتها الدراسية على مدى سنوات، غادر المحلة فور تسلمه نتيجة الامتحان الوزاري،((**بعد أن تسلم نزار نتيجة الامتحان، كانت تقف في بابهم سيارة كبيرة سوداء اللون نوع شوفرليه، سنتعود عليها في ما بعد، إنهم في هذه الساعة يتركون بيتهم، ويهاجرون إلى خارج العراق ولن نراهم بعد هذا اليوم... بقي بيت نزار فارغاً وسريعاً ما علاه الغبار وأصبحت أشجاره كئيبة، على باب بيتهم تلتف سلسلة حديدية طويلة يسبب منظرها الحزن**))([٣٠]). لتبدأ بعد ذلك سلسلة الهجرة بحثاً عن وطن بديل فقد تبعه معظم سكان المحلة:((**بيت أم علي وبيت أم سالي هاجر أيضاً، ثم تبعهم بيت أم ريتا، أصبح مشهد الدموع والتوديع عادياً، في كل مرة نقف نودع صديقة تسافر مع أهلها دون أمل في أن نراها ثانية**))([٣١]). لقد بددت الحرب بقسوتها وسطوتها أحلام الشخصيات الروائية، وباتت تصنع وجهاً آخر لوطن لم يتبقَ منه سوى صور الموت الفجائعية التي عاشها الشعب العراقي بعد اتساع دائرة العنف والقتل، لذلك وجدت معظم الشخصيات الروائية أن الهجرة سبيلاً للخلاص.

وقد أدرك حجم هذه الخسارة وقاسى مرارتها حارس المحلة " شوكت " وهو شخصية تتسم بالازدواجية بين حب الوطن والدفاع عنه تارة والخوف من الموت وحيداً تارة أخرى([٣٢])، فعلى الرغم من كونه يعاني من الاضطرب النفسي إلا أن ذلك لم يمنعه من كسر حاجز الخوف والقلق، فقد آمن في قرارة نفسه أنه قادر على البقاء في بيته وحماية وطنه المصغر " المحلة " لذا أخذ على عاتقه " **مسؤولية الحفاظ على هذه البيوت من دون أن يشعر بالتعب، كان يدخل إلى هذه البيوت ويتنفس هواء السنوات التي عاشها مع الجيران الذين أحبهم وأصبحوا عائلته الكبيرة. إن البيوت مستودع ذكرياتهم، فعندما يهتم بها فهو يريد أن يقول لكل فرد عاش بين جدرانها: أنا أحبك ومشتاق إليك، هو يشتاق إلى الكبار والصغار بالدرجة نفسها**"([٣٣]).

من الملاحظ أن خلف هذه النصوص الروائية تتوارى الذكريات المؤلمة التي تظهر بشكل صريح لا يحتمل اللبس، أفكاراً صاغتها الكاتبة تعبيراً عن مأساة الشعب أو مأساتها الشخصية وهي تفقد الأحبة والأصدقاء واحداً تلو الآخر، فهي تنقل صورة الوجع المزمن الذي عاناه الشعب العراقي بلغة روائية ممتعة

تؤسس لرؤية جديدة حولت تراجيديا (المأساة) العراقية إلى صيغة أدبية تجعل من النص الروائي مرآة للواقع العراقي((الذي صار القارئ يتأمله ويتأمل ذاته الإنسانية ضمن إطارها ليستعيد ذاكرته، وفيها من يجد داخل هذه المرآة صورة لشعب كامل يتأمل أيامه الماضية ومأساته))([٣٤])، لذا نجد أن الكاتبة قد ساهمت في تشكيل وعي جديد، عمد إلى فضح عبثية الحروب والمأساة الإنسانية المترتبة عليها.

صورة حرب الخليج الثالثة (سقوط بغداد):

تعرض الكاتبة شهد الراوي فيلماً وثائقياً يدور حول يوميات الشعب العراقي، تقدم فيه صورة حيّة عن المعاناة التي عاشها الفرد العراقي في ظل الحرب، وكأنها قدر العراقيين الذي لا فرار منه فتطول تلك الحرب وما أن تنتهي حتى تبدأ الأخرى من جديد، وهكذا تنتقل بنا إلى حرب أخرى اجتاحت المجتمع العراقي وعملت على زعزعته وشق وحدته، تتماز هذه الحرب بأنها أكثر قسوة وشراسة من سابقتها، فقد كان من أهم نتائجها زوال النظام السابق، وسيطرة القوات الأمريكية على العراق، و((لم يشهد العراق عبر تأريخيه الحديث مثل هذه الهجمة الشرسة التي نفذتها القوات الأمريكية على الدولة والمجتمع في أعقاب غزو هذه القوات للبلاد، إذ ما وضع الاحتلال الأمريكي يده على تراب العراق حتى راح يحل مؤسساته السياسية))([٣٥]) والاقتصادية والاجتماعية حتى أسهم في دمار شامل عم البلاد بأكملها.

قبل اندلاع تلك الحرب بمدة زمنية شعرت البطلة بقدومها لا محال، فهي تعرفها جيداً وتتنفس رائحتها في الهواء، وكأن مغناطيسها يحرك الأشياء عن أماكنها من دون أن يلامسها، من فوق سطح منزلها تقف مرة أخرى فوق خزان المياه، تتفقد سفينتها "بغداد" وأشرعتها العالية في الآفاق البعيدة، تفرك عينيها جيداً، مترقبة الحرب، ولكونها عاشت هذه الأجواء سابقاً وتعرف منظومة الحرب وأهدافها، نجدها تحدد لها أهدافها بدقة، فقد أصبحت خبيرة بالمكان، خبيرة بالحروب وأهدافها، تعرف ما الذي تبحث عنه بالضبط، فنراها تستدعي الحرب بأسلوبها، فتقول:((**تعالي أيتها الحرب الصديقة، هذا برج المأمون، وهذه ساعة بغداد، تلك البناية العالية، وذاك المطار، اذهبي إلى شارع الرشيد ثمة أبراج وبنايات في انتظارك، اذهبي نحو جسر الجمهورية....يمر سرب من الطيور في السماء، كم هي سعيدة هذه المخلوقات التي تعيش بلا وطن، أريد أن أطير معها، أريد أن أعيش في عالم جديد ،عالم بلا حروب، أيتها السماء تلطفي بي مرة واحدة، لقد تعبت من الوطن**))([٣٦]). لم يكن هذا الاستدعاء إلا وسيلة للسخرية من منظومة الحرب وآلياتها المستبدة وخيباتها وخباياها في صدور الناس، وقد رافق ذلك استمرارية في البحث عن عالم بلا حروب، تخبرنا البطلة بأنها متعبة من الوطن، ولا تزال تبحث عن سفينة تبحر بها نحو الفردوس المفقود.

تدخل الرواية مرحلة جديد مع انطلاق شرارة حرب الخليج الثالثة عام ٢٠٠٣، نحاول معها أن نقرأ ما تعنيه الحرب للشعب العراقي، وتحديداً للمرأة وهي تشهد حرباً للمرة الثانية، فقد كان دخان الحرب يحجب

مستوى رؤيتها ويشوش عليها المشهد، ويفقدها فرحة الانتقال إلى الحياة الجامعية التي انتظرتها سنوات طويلة، ومن هنا أخذت الحرب تفرض نفسها من جديد على حياة البطلة وصديقتها " نادية"، ما تسبب في تركهما للجامعة، فقد بددت الحرب أحلامهما وأضاعت مستقبلهما، فأصبحت حياتهما مظلمة كظلام بغداد بعد سقوطها، حياة مملة يسودها الرعب والترقب بصمت، فهي تجلس في البيت تحصي الأيام على جمرات الخوف، على عدد ضحايا المفخخات والكواتم، على عدد الجيران الذين تركوا بغداد وهاجروا إلى بلدان أخرى، وصديقتها تفعل ذلك أيضاً([٣٧]).

إن هذه الحرب تمثل مفهوماً ملتبساً بين بُعدين؛ الأول سلبي يتمثل بالدمار والخراب الذي يرافق الحرب، والثاني إيجابي يتمثل بالأمل في نهاية الموت البطيء (الحصار) الذي استمر اثنتي عشرة سنة، وهذا ما يتضح من خلال قراءة النص الروائي :((**هذه الحرب ليست كالحرب السابقة، لأنها حرب تحمل الموت والخراب وبعض الأمل أيضاً، الأمل بنهاية الحصار الذي هو أكثر قسوة من الحرب نفسها هو الموت البطيء الذي نعيشه دقيقة ، دقيقة**))([٣٨]). في الوقت الذي كان يتعرض فيه الشعب العراقي للتجويع والإبادة البطيئة أمام أنظار العالم والضمير الإنساني، وبمباركة مجموعة من الدول الكبرى، تخبرنا البطلة أنه لا طريق لنهاية ملحمة الحصار إلا بوساطة الحرب، وفي ظل هذه المحنة ترسم صورة مأساوية عاشها أغلب العراقيين، تُعبّر فيها عن قسوة الحصار وشراسته التي نهشت جسد الإنسان العراقي فجعلته يتمنى الموت دفعة واحد، وسلبت منه روح الأمل فجعلت حياته أكثر بؤساً وشقاءً وقد عبرت الساردة عن ذلك بقولها:((**لم يكن الحصار سلاحاً لتجويعنا فحسب، لقد خرب معنى حياتنا وقضى على الكثير من عاداتنا وسلوكنا وسلب منا روح الأمل، وعندما يختفي الأمل تصير الحياة مجرد عادة ننتقل فيها من يوم تعس إلى آخر أكثر تعاسة**))([٣٩]).

وقعت الحرب الأمريكية على العراق وعادت الأجواء نفسها التي عاشها الشعب العراقي في حرب الخليج الثانية، لكنهم هذه المرة اعتادوا على صورتها، فالصواريخ تسقط هنا وهناك والطائرات تحوم في النهار والليل، اندلعت الحرائق في كل مكان وتصاعد الدخان في الأرجاء لكن الاختلاف في هذه الحرب أنهم لم يحتشدوا في الملاجئ، ولم يتكوروا تحت السلالم في بيوتهم([٤٠])، إنما فتحوا أبوابهم لها ففي داخلهم رغبة قوية للوصول إلى نهاية معروفة بغض النظر عن نتيجة هذه النهاية، فمنهم من راقب أحداث الحرب بصمت مهيب من داخل منزله منتظراً مصيره، ومنهم من واجه الحرب بمثلها فقد ظهرت فئات من المقاومة الشعبية انتشرت في شوارع بغداد، وهي جماعات مسلحة ظهرت بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، ذات توجهات دينية ووطنية وقومية، أخذت على عاتقها مواجهة القوات الأميركية المحتلة وردعها من خلال تفجير العبوات الناسفة على المصفحات التابعة لها، وذلك ما تخبرنا به البطلة :((**في رأس الشارع، سمعنا صوت انفجار أول عبوة ناسفة على مصفحة أمريكية، لقد بدأت معركة العبوات الناسفة.**

في منتصف الليل، وزع مجهولون منشورات تعلن باسم المقاومة، تحطيم سيارة همر أمريكية، وتحذر الأهالي من التعاون مع العدو، أصبحت الحياة شديدة الغموض، طائرات تحلق ليل نهار فوق سماء المحلة، وفي أسفلتها تزرع عبوات.))([٤١]). إن الكاتبة تسلط الضوء على بشاعة ما ارتكبه المحتل بحق الشعب العراقي، فكشفت لنا عن فضاء يرتكز على دعائم الخراب والموت وسياسة القتل التي انتشرت في شوارع بغداد، فقد تنوعت الوسائل التي يموت بها الإنسان ما بين القصف الجوي في سماء بغداد، والعبوات التي تزرع في أسفلتها، وهكذا أصبحت الحياة شديدة الغموض في العراق.

بعد ذلك تلجأ الكاتبة إلى الكشف عن الممارسات السلبية التي قام بها رجال المقاومة فلم يقتصر دورهم على مواجهة القوات الأمريكية فقط، بل تعدى ذلك إلى الاستيلاء على المنازل المهجورة والممتلكات الشخصية، فضلاً عن تهديد سكان المحلة وبث الرعب في نفوسهم فعلى جدران البيوت والمدارس والمرافق العامة كُتبت عبارات تندد بالاحتلال، وتتوعد المتعاونين معه بالموت، فقد تم طلاء باب بيت عائلة مروة _ وهي إحدى صديقات الساردة التي تعمل مترجمة للقوات الأمريكية_ بالأسود ورسمت عليه رصاصة كتب تحتها " الموت للخونة " وهذا ما دفعها إلى الهرب مع عائلتها خارج العراق([٤٢])،وذلك ما حصل مع كثير من أبناء الشعب العراقي الذي عانى الأمرّين متأرجحاً بين الحياة والموت.

ثم تنصرف إلى وصف تبعات هذه الحرب وانعكاساتها على نفسية المواطن العراقي عموماً، وواقع مجتمعه وما طرأ عليه من تحولات وتغيرات سلبية، فقد كان لأزمة الحرب وما يرافقها من الإرهاق النفسي أثرٌ في الكشف عن انعدام التواصل بين الناس، وانعدام الحياة في هذا المكان الذي يمثل ذروة الحرب، ولهذا السبب شهدت أغلب مناطق بغداد هجرة داخلية نحو الأرياف التي هي أقل خطراً من المدن، فقد هربت الساردة مع عائلتها إلى بيت جدتها في الريف، عاشت هناك أشهراً من الراحة النفسية بعيداً عن الفوضى النفسية التي ضربت كل شيء، تكيفت مع حياة الطبيعة، فتغيرت ملامحها، وتغير كل شيء في حياتها، وعلى الرغم من اللحظات العصيبة التي مرت بها، إلا أن السلم ينبع من داخلها، وتشرق في روحها طمأنينة غير مألوفة يأتي بها اليأس أو الرغبة في الحياة بعيداً عن الحرب، في هذا المكان الذي تصفه بأنه جنة ساحرة تغفو على نهر الفرات([٤٣]) تتجدد روحها، وينبعث في داخلها سيل من الطمأنينة.

لكنها ما تلبث أن تعود إلى فيض الذكريات المؤلمة التي تشغل حيزاً من تفكيرها:((**قبل سنوات كنت طفلة صغيرة، عندما جئت إلى هذا المكان هرباً من حرب قديمة، وها أنا الآن أعود إليه هرباً من حرب جديدة، الطائرات نفسها، والصواريخ نفسها تطاردني بعد اثنتي عشرة سنة من الحصار.**

ماذا كان يريد بوش الأب من حياتي؟ وما الذي يطلبه بوش الأبن منها؟

كيف سأروي هذه الحكايات لأطفالي في المستقبل؟ وكيف سيصدق أحفادهم أن رئيسين لدولة عظمى كانا يطاردان حياتي بالصواريخ؟))([٤٤]). إن صواريخ الحرب تطاردها منذ ولادتها وحتى شبابها،

وإن رائحة الموت النتنة تفوح في كل أرجاء الوطن، تتساقط معها الأرواح من أجسادها المحترقة بنيران الانفجارات، تتعدد صور الحرب في حياة بطلة الرواية فيمتزج الماضي مع الحاضر في كوابيس مرعبة لا تفارق مخيلتها أبداً.

وُلدت الساردة في زمن الحروب وأكملت حياتها في معترك التيه اللامنتهي، فنراها تحاول رسم المستقبل عبر تخطيطات متناقضة تخوفاً من هزيمة أخرى، تتمسك بالتناقض خوفاً من المجهول وبحثاً عن سبيل للنجاة، فتتهشم السنوات، ويتلاشى الطموح، وتموت الأماني في ضبابية القدر وجبروت الحرب وقسوتها، وهي تقف هناك من دون ملل تصارع الحياة بانتظار الفرج الآتي، جاء الفرج بعد محاولات عدة في البحث عن وطن مهيأ للعيش، فغادرت العراق مع عائلتها متجهة صوب الأردن، حملت معها تأريخ جيلها الذي دونته في(ساعة بغداد– سجل المحلة)([٤٥])، وعليه ذرفت آخر دمعة لها، وسحبت كمية من الهواء إلى رئتها المتوقدة، لتعلن عن ولادتها الحقيقية بعد أن عبرت الحدود، ولامست أقدامها أرض الحياة الجديدة، استنشقت عطر عالم جديد، فقررت أن تعيش في هذا العالم الذي يتسع أمامها دفعة واحد، ومن هنا يمكن القول إن الساردة تمكنت من الانتماء إلى وطن بديل وجدت فيه التعويض عن الحرمان الذي عانت منه كثيراً، وفي الحقيقة أن شهد الراوي من خلال هذه الشخصية قدمت أنموذجاً للمثقف العاجز إزاء الحرب وقسوتها؛ كونها شكّلت منعطفاً فاصلاً في حياة الأفراد والمجتمع، فقد أدت إلى تغيرات بنيوية كبيرة طالت المجتمع العراقي فكانت سبباً في هجرة كثير من سُكانه.

صورة الآثار النفسية لمخلفات الحرب:

عالجت رواية ساعة بغداد أحداث الحروب التي لحقت بالمجتمع العراقي، وما رافقها من أفكار وتيارات، وآثار مادية ومعنوية اجتاحت المجتمع وأسفرت عن الدمار والخراب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي عمّ العراق آنذاك، فقد تأثرت الرواية بهذه التحولات كلها ومثلتها خير تمثيل فتوغلت في حياة الناس اليومية، وسردت تفصيلاتها هذه الحياة في زمن الحرب على النحو الذي جعلها تتماهى مع الواقع المعيش.

ولا ريب أن لهذه الحروب آثاراً نفسية متنوعة تمثلت في خلق شخصية نسوية مضطربة نفسياً، فقد نشأت هذه الشخصيات في مجتمع الرواية في ظل ظروف مؤلمة انعكست على سيكولوجيتها وهذا ما ظهر في شخصية البطلة التي عاشت في قلق نفسي وخوف مستمر، إنه الخوف من الحرب وكل ما يتعلق بها،((**نعم أنا أخاف، أخاف من الحرب كثيراً، أخاف حتى من بياناتها وأغانيها وموسيقاها وقصائدها الحماسية، فكيف لا أخاف إذا وقفت الطائرات في السماء وهي توزع الموت بخطوط مستقيمة؟ لماذا عليّ أن أشهد كل ذلك في حياة واحدة؟ حرب في الطفولة، وحصار في المراهقة، وحرب جديدة بأسلحة**

ذكية ومتطورة وأنا لم أبلغ العشرين بعد، كيف لإنسان طبيعي أن يروي سيرته الشخصية عندما يكبر وهو ينتقل من حرب إلى أخرى؟))([٤٦]). قد أسفرت تلك الحروب المتكررة عن خلق شخصية مضطربة نفسياً في زمن الدمار والخراب، هذه الشخصية نفسها تمثل صوتاً معبراً عن المرأة في العراق، الصوت الذي حاولت الحرب أن تخنقه وتفرض عليه قوانينها المجحفة التي اتسمت بأقسى صور العنف والتدمير والخراب، وزرع الخوف في نفسها، المرأة العراقية التي لم يشأ لها أن تتجاوز مخلفات الحرب وتأثيرها الكبير في مجرى حياتها ومشاعرها وسلوكها؛ لأن آثار الحرب أشد ألماً من غيرها، ولاسيما إذا ما علمنا أن((ما خلفته الحرب من ويلات، ودمار، وترمل قد ألقى بظلاله على المرأة، فضلاً عن الذكريات المؤلمة التي ترسخت في عمق خيالها، وذاكرتها، فالمشاهد التي خلفتها الحرب أكثر روعاً من الحرب ذاتها، والآثار التي نجمت أفظع من الحرب نفسها، كذلك فقد تحولت الحرب إلى ويلات متنوعة، واختفت متشظياتها في كل مدن البلاد، فسادت الويلات بألوان مختلفة...أن المرأة بعاطفتها ورقّتها تنظر إلى الحرب نظرة أعمق من الرجل الصلب، ومن هنا يكون أثرها أكثر إيلاماً))([٤٧]). فضلاً عن ذلك أن ما تركته الحرب من آثار نفسية في المجتمع العراقي جعل المجتمع هو الآخر يضطهد المرأة ويعنفها بين الحين والآخر، وهذا ما يسهم في بث سموم الخوف والرعب في داخلها، هذا ما بدا واضحاً في قصة " ميادة" التي قُتلت أثر اطلاق ناري من لدن شقيقها " حسام " ؛لأنها خرجت مع صديقها الطبيب " توفيق" في نزهة، فتخبرنا قصتها بعد وفاتها: **((جاء حسام إلى البيت غاضباً، ووجدني أغني في المطبخ، قال لي أريد أن أتحدث إليك... ماذا تفعلين بسيارة الطبيب؟ –توفيق يريد أن يتزوجني... أصيب حسام بنوبة هستيرية مفاجئة، وأصبح يصرخ مثل المجنون ويرميني بالصحون والأقداح، ثم أسرع نحو خزانة والدي، أخرج المسدس من الدرج ووجهه إلى صدري))**([٤٨]). عانت ميادة كثيراً من نوبات جنون شقيقها واضطراباته النفسية التي نرجح أنها تعود إلى أسباب متعددة أهمها التراكمات الناتجة عن الحرب، وفي الحقيقة لم يكن هناك سبب يستدعي قتلها، ولكن نرى أن السبب الحقيقي هو التفسخ الأخلاقي الذي عانت منه شرائح معينة من المجتمع العراقي نتيجة الحروب والحصار الاقتصادي وما نتج عن ذلك من تدهور أمني كان كافياً لخلق شخصية قلقة غير متزنة، انعكست في شخصية " حسام" الذي يعاني من الاضطراب النفسي والخوف والقلق والعدوانية، وهي مشاعر مختلطة نتجت عن التحولات السلبية والتغيرات التي طالت المظاهر الاجتماعية في المجتمع العراقي.

اتسعت الآثار النفسية للحرب في مجتمع الرواية وقد بلغت ذروتها وصولاً إلى الانتحار، وهذا ما يظهر في شخصية المرأة العراقية التي انتحرت غرقاً في نهر دجلة، في فصل الشتاء شديد البرودة، تخبرنا البطلة التي كانت شاهدة على تلك الحادثة في سنوات الحصار الاقتصادي ،فتلك المرأة كانت بحالة هيسترية يصعب وصفها، تبحث عن طعام لأطفالها على مدار ثلاثة أيام متواصلة لكن محاولاتها لم تجدِ

نفعاً، فاختارت الانتحار بعدّه طريقاً تلجأ إليه الشخصيات المضطربة نفسياً، هذه المرأة عانت من ويلات الحروب وما تبعها من آثار الدمار الاقتصادي الذي لحق بالمجتمع، وفي ظل هذه التراكمات النفسية التي أفرزتها دوامة الحروب ونتائجها وجدت أن الانتحار هو المسار الوحيد للخلاص من الحياة القاسية ([٤٩]).

وتُعد الهجرة وتبعاتها من أبرز الآثار النفسية التي خلفتها الحروب في المجتمع العراقي، فبعد غياب الأمن وانتشار القتل أصبح الهرب بحثاً عن الاستقرار والأمان مقصد كثير من الناس، وهذا ما فعلته " نادرة" زوجة الحارس" شوكت" التي سافرت إلى قريتها الجبلية في كردستان حيث تقطن عائلتها، وانقطعت أخبارها تماماً، هذه المرأة ذات الأصول الكردية عاشت معه سنوات طويلة، محبطة يسكنها الخوف من المجهول بسبب ضياعها في دوامة الصراعات والحروب التي أُجبرت على خوضها، كانت جل مطامحها أن تعيش حياتها بهدوء وسلام، وهذا ما دفعها إلى الهجرة تاركة خلفها زوجها الذي سرعان ما يصطدم بواقعه المرير([٥٠])، وقد أسهم ذلك في خلق شخصية مضطربة نفسياً في أغلب الأحيان، يتنقل بين منازل المحلة يستعيد ذكريات الماضي فيعتصر قلبه ألماً لفقد العائلة والأصدقاء في آن واحد، وهذا ما دفعه إلى محاكاة صورهم،((**نزل على السلم، جلس من التعب على إحدى درجاته وهو يحاول حبس دموعه، تذكر في الحال زوجته التي غابت عن عينيه طويلاً، تذكر أنه بلا عائلة، ولا بنات صغيرات يعض على معاصمهن، كان أحوج ما يكون في هذه اللحظة إلى أن تخرج له من هذه الصورة فتاة صغيرة ونحيفة تشبه باجي نادرة وتقول له: لا تبكِ يا بابا. ظلت كلمة بابا ترن في رأسه، فهو في حياته كلها لم يسمع كلمة بابا**))([٥١]). يعج النص بثيمة الحالة النفسية التي خلقتها الحروب في ذهن الشخصيات الروائية، فيكشف عن ذاكرة مثقلة بهموم أبناء الوطن وعذابهم جرّاء فقد الأحبة وقلوبهم المحترقة حزناً، فشخصية " شوكت" في تلامس دائم مع الحرب وآثارها في نفسية الفرد المنكسرة، فنجده يشعر بالوحدة، والرغبة المتجددة في البكاء، صدره يختنق بالألم، ينثر على جسده غبار السنين والذكريات المؤلمة، ويحتضن روحه المتعبة، يمرّ عليه الوقت كئيباً بين جدران المنازل الموحشة وأشجارها، يقاسي مع نفسه الخوف من الموت وحيداً، فيلجأ إلى الحوار الداخلي (المونولوج) الذي يطلعنا على خبايا الشخصية العراقية التي عانت كثيراً في زمني الاحتلال والحروب على اختلاف صورها:((**حسناً فعلت أبا سالي، حين ذهبت ببناتك بعيداً، إن المحلة لم تعد مكاناً مناسباً للعيش، الحصار والحكومة خربا حياتنا يا صديقي، يوماً بعد يوم تصبح الحياة صعبة في هذا المكان، لقد تغيرت أشياء كثيرة بغيابكم، حتى بيتكم هذا صار مسكناً للوحشة والألم... أنا خائف يا صديق، خائف أن أموت وحيداً، هل تعرف وحشة أن تموت وحيداً؟**))([٥٢]). قدمت الكاتبة من خلال هذه الشخصية تصويراً واقعياً لحجم المعاناة والوجع الفردي الذي يعيشه الإنسان العراقي وهو في صراع دائم مع المشهد الصاخب في زمن الحرب، المشهد العابق برائحة الدم، بارود البنادق وتراب أرض الوطن، يتضمن النص معنى مسكوتاً عنه يمثل صرخة رفض تصدرها

الكاتبة لكل ما يمتهن كرامة الإنسان العراقي ويسلب حياته، وفي الحقيقة أن شهد الراوي كانت بعيدة كل البعد عن الشعارات السياسية والتحريض الأيديولوجي ما خلا إشارات قليلة ومقتضبة كما هو الحال في النص السابق إذ كشفت من خلالها عن تعسف الحكومة العراقية " النظام البائد" ودورها في دمار العراق وهجرة سُكّانه بعد تحولها إلى وسائل إرهاب وقتل ثابتة ومشرعنة.

تأثير الحرب في العلاقة بين الرجل والمرأة:

جمعت رواية ساعة بغداد بين ثنائية النقيضين " الحب والحرب"، فقد برز مذهب الحب والعشق بين مجموعة من الفتيات المراهقات في الرواية على الرغم من طغيان الصور المأساوية للحرب والحصار، فالحرب عطلت الحياة بمعناها العام ،وهذا ما جعل الرجل والمرأة يواجهان رحى الحرب معاً، ثم يقتربان من بعضهما بعضاً فتختفي مركزية أحدهما وتذوب في الآخر، وهكذا أثرت الحرب في تقويض مركزية الرجل المهمشة للمرأة في أغلب الأحيان، وقد لجأت الكاتبة إلى توظيف " الحب " بوصفه ثيمة إنسانية كان الغرض منها التخفيف من توتر الحرب وأبعادها المدمرة في المجتمع الإنساني، فلم يأتِ هذا التوظيف اعتباطاً؛ لأن هذه الثيمة أكبر من كونها عابرة فهي مسكوت عنه في زمن الخوف وظفته الكاتبة بما يخدم النص الروائي وينأى به عن الرتابة والملل.

لم تغب الحرب عن الأحداث العاطفية التي عاشتها الفتيات المراهقات، فقد اتحدت الحرب مع الحب في تداعياتهما وهذا ما نراه في القصة العاطفية التي جمعت "ميادة" والطبيب " توفيق"، نسجت الحرب علاقتهما الوجدانية، كلاهما وجد نفسه هارباً من دوامة الحرب، يبحث عن الحب في ظل التراجيديا المأساة التي يعاني منها مجتمع الرواية، تنامت علاقتهما بشكل متسق مع رغبتهما في خوض تجربة مميزة يتماهى فيها الطرفان، ميادة الأنثى المُعذبة من واقع الحروب ومن سلطة شقيقها المضطهد لها ،وجدت في هذه العلاقة المسار الصحيح الذي يقودها إلى مغادرة الدائرة المغلقة التي فُرضت عليها، فقد جعلت كلا الطرفين في مرحلة جديدة انصهرت فيها مركزية الرجل ودونية المرأة التي رسمها المجتمع في ذلك الوقت، ويمكن أن نطلق على هذا المستوى " البُعد الإيجابي "، في حين أن البُعد الآخر سلبي يتمثل في سياسة القتل التي طالت بعض الفتيات جراء الحب، فالجثة الهامدة هي مصير الفتاة العاشقة "ميادة"([٥٣])، ذلك المصير الذي ينتج عن الحرب نفسها، إذ إن الموت يُعد قاسماً مشتركاً بين الحب والحرب.

وهكذا أثرت الحرب في العلاقة بين الرجل والمرأة فقد أسهمت في توتر علاقة البطلة مع " فاروق" هذه العلاقة التي ازدهرت على مدى سنوات وبلغت أوجها حتى أقبلت الحرب، فقد واجهها الطرفان بقوة علاقتهما، اشتركا في الآراء وتوحدت أفكارهما حول الحرب وأهدافها، وقوانينها القاسية، فغابت مركزية أحد الطرفين المهمشة للآخر، في حين يظهر جانب آخر للحرب يسهم في توتر العلاقة بين الطرفين، فقد

سيطر عليهما الخوف والقلق من المصير المجهول الذي يتجهان نحوه ولاسيما بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وهذا ما نراه في شخصية البطلة التي أصابها هوس التفكير في مجريات الحرب وأثرها في اضطراب العلاقة بينهما، فتصف ذلك بقولها:((**أخاف عليك، على حبنا، على ذكرياتنا، لا أعرف إلى أي مصير ستأخذنا. الحرب ليست معركة بين طرفين فيها منتصر ومهزوم، الحرب تقلب الحياة على رأسها وتبعثر الأشياء مثل كرة مرمية لا على التعيين، ربما هذه آخر مرة نقف فيها عند ضفة النهر، آخر مرة نستطيع أن نتمشى فيها في وضح النهار**))([٥٤]).

ترجّع البطلة سبب اختلال توازن العلاقة بينهما إلى الحرب، فقد انعدم اللقاء، وأصبح كلاهما منزوياً في بيته يخشى الاصطدام بواقع الحرب المؤلم، وهذا ما جعل فاروق مضطراً إلى السفر خارج العراق، فنراه يكتب رسالته الأخيرة ليودع البطلة:((**أنا مضطر للسفر مع المنتخب... كنت أحب أن أراك في هذه الساعة الحزينة. ألم أقل لكِ أن الحرب ستحرمنا من أجمل الأشياء، هل تتذكرين ذلك، حين كنا نراقب سقوط الشمس في دجلة.**))([٥٥]).

وكذلك الحال في القصة العاطفية التي جمعت " شروق " مع " خليل " فقد كانت الأمور بينهما تسير على نحو جيد، إذ تقدم خليل لخطبتها ووافق أهلها من دون تردد، عُزفت موسيقى الفرح في بيتهم، وانهالت عليهم التبريكات من الأقارب والأصدقاء، وتم تحديد موعداً لعقد القرآن بينهما، ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً فقد تأزم وضعها النفسي والصحي في هذا اليوم تحديداً فهي عندما نظرت في وجه خليل وهو يضع الخاتم في إصبعها وجدت وجهه ينتمي إلى عالم آخر، خيم الحزن على قلبها وروحها، على الرغم من محاولاتها إخفاء مشاعرها الحقيقية أمام الآخرين لثلاثة أيام وشروق على هذه الحال، لم تنفع مع حالها المحاولات كلها التي بذلتها أسرتها باستدعاء أفضل الأطباء، لكن أحداً من هؤلاء وعلى الرغم من الفحوصات الكثيرة لم يشخص علة واضحة في جسدها، هذا ما جعلها مضطربة ومنهكة جداً، نتيجة التفكير المفرط في نبوءة المشعوذ*** الذي أخبرها بوفاة خليل بعد زفافهما بمدة قصيرة جداً؛ وذلك إثر انفجار ينهي حياته في ظل الحرب التي يقاسي أثرها المجتمع آنذاك([٥٦]).ذلك كله ترك أثراً نفسياً في حياتها جعلها تفقد صوابها وتتعرض لأزمة صحية حادة كادت أن تُنهي وجودها لكنها ما لبثت أن تجاوزتها لتعود إلى الحياة مرة أخرى. ومثل ذلك ما حدث في كثير من العلاقات داخل مجتمع الرواية، ومن هنا نجد أن الأثر السلبي للحرب يُشكّل هاجساً نفسياً مدمراً لعلاقة المرأة مع الرجل بشكل عام.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الكاشفة في محطات البحث لابد من أن نذكر أهم النتائج التي توصل إليها:

- قدمت الدراسة تصويراً واقعياً عن حجم المعاناة والوجع الفردي الذي يعيشه الإنسان العراقي وهو في صراع دائم مع المشهد الصاخب في زمن الحرب، المشهد العابق برائحة الدم، بارود البنادق وتراب أرض الوطن، يمثل صرخة رفض أصدرتها الكاتبة لكل ما يمتهن كرامة الإنسان العراقي ويسلب حياته، كشفت من خلالها عن قسوة الحرب وتعسف منظومة الحكومة العراقية السابقة ودورهما في دمار العراق وهجرة سُكّانه بعد تحولهما إلى وسائل إرهاب وقتل ثابتة ومشرعنة.
- إن صورة الحرب في رواية ساعة بغداد من أكثر المشاهد المؤلمة في نفس المتلقي، فقد عمدت الكاتبة إلى رسم صورتين للحرب تراوحت بين حرب الخليج الثانية(عام ١٩٩١)، والحرب الأمريكية (عام ٢٠٠٣)، وما تمخض عن ذلك من تبعات الحصار الاقتصادي الذي فُرض على العراق واستمر سنوات طويلة عانى من خلالها الشعب العراقي شتى أنواع الحرمان وشظف العيش.
- تركت الحرب آثاراً نفسية على شخصيات الرواية فقد خيّمت عليها ملامح الكآبة واليأس فضلاً عن الخوف والقلق والعنف العدواني، فأغلب هذه الشخصيات مأزومة ومحبطة نفسياً وفكرياً ،تشعر بالضياع، كما أنها دائمة البحث عن الأمان والاستقرار.
- قدمت المدونة السردية تصويراً للمثقف العاجز إزاء الحرب وقسوتها، فقد شكلت الحرب منعطفاً فاصلاً في حياة الأفراد والمجتمع، أدت إلى تغيرات بنيوية كبيرة طالت منظومة القيم والتقاليد والعادات الاجتماعية، فكانت سببا في هجرة كثير من سكانه.
- خرجت الدراسة إلى أن توظيف ثيمة " الحب " كان الغرض منها التخفيف من توتر الحرب وأبعادها المدمرة في المجتمع الإنساني، فلم يأتِ هذا التوظيف اعتباطاً؛ لأن هذه الثيمة أكبر من كونها عابرة فهي مسكوت عنه في زمن الخوف وظفته الكاتبة بما يخدم النص الروائي وينأى به عن الرتابة والملل.

الهوامش:

١ – ينظر: الموجز في الرواية العراقية الحديثة ٢٠١٧ –٢٠٠٠، عبد الزهرة عمارة ، عمارة برس للطباعة والنشر، العراق، ط٢، ٢٠١٧: ١٦٦.

٢ – ينظر: الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، ت. ودراسة عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧: ١٠. نقلاً عن : الحرب باعثاً ابداعياً في الرواية العراقية في المنفى: ٢٥١.

٣ – الحرب باعثاً ابداعياً في الرواية العراقية في المنفى، م.م ميثاق حسن عطية، أ.م.د ناهضة ستار عبيد، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ،مج ١٧،ع ٤: ٢٥١–٢٥٢.

٤ – ينظر: " الوطن في الرواية النسوية العراقية دراسة في ثلاثة نصوص مختارة "، نصرة جدوع، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب ، ٢٠١٧، ع٢٤،ص: ٢–٣.

٥ – ينظر :" رواية المرأة العربية من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٧ دراسة في ضوء النقد النسوي"، هدى الشيباني ،وزارة الثقافة العراقية، ط١، ٢٠١٣:١٧٣.

٦ – " الرواية النسوية العربية (المرأة في عالم متغير)"، نجم عبدالله، وآخرون ، دار كتارا للنشر، ط١،٢٠١٨: ٤٧٤.

٧ – ينظر : " الحرب في الرواية النسوية العراقية في الخارج" ، غادة جمال مكي، مجلة جامعة زاخو، ٢٠١٣، ع٢، ص: ١٧٨.

* نتفق مع ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن الرواية التي كتبتها المرأة العربية –عوماً– عن الحرب اهتمت بالمعاناة الإنسانية والوجع الفردي في حين أن الرواية التي كتبها الرجل ركزت على جوانب الصراع والبطولة لذا جاءت كتاباتها أكثر إنسانية ومصداقية وبعداً عن الانجراف في الدعائية . ينظر: ١٠٠ عام من الرواية النسائية، بثينة شعبان، دار الأدب ، بيروت، ط١، ١٩٩٩: ١٣٩–١٤٠.

٨ – "العالم الروائي لعالية ممدوح "، هديل عبد الرزاق أحمد، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد / كلية الآدب،٢٠١٠: ٥٣.

٩ – ينظر :" الحرب في الرواية النسوية العراقية في الخارج (٢٠٠٣–٢٠١٠)"، غادة جمال ، داود سلمان مجلة كلية التربية للبنات، ٢٠١٧، مج ٢٨؛ع٢ :٦٠٥–٦٠٦.

١٠ – ينظر: الرواية النسوية في العراق مطالعة تاريخية، مجلة الجديد الإلكترونية، وارد بدر السالم ،ع٦٩، تشرين الثاني ٢٠٢٠: ١٤٤.

١١ – ينظر :" **التجريب في الرواية العراقية النسوية بعد عام ٢٠٠٣**"، سعيد حميد كاظم ،تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٧، ص: ١٧.

١٢ – نظرة على مساهمة المرأة العراقية في الرواية العربية خلال القرن الواحد والعشرين، عبدالرحمن ،مجلة أقلام الهند، مجلة إلكترونية فصلية محكمة، ع٤، ٢٠٢٠.

** ظهر مصطلح الإرهاب الثقافي بعد تغيير النظام السياسي في العراق عام ٢٠٠٣،ودخوله مرحلة الاحتلال وما بعدها، فانشغلت الرواية العراقية بثيمة الرابط المشترك الذي ارتبطت به ودارت حوله أغلب النتاجات الروائية في هذه المرحلة ألا وهو (الوجع العراقي)وعلى الرغم من سيطرة مشهد العنف والإرهاب الدموي على معظم تلك الروايات لكن هذا لم يمنع من التفات الرواية الجديدة إلى الإرهاب الثقافي والفكري اذ لم يقتصر ذلك على جانب العنف الدموي فحسب ، بل امتد إلى الجوانب الفكرية والاعلامية والحضارية. وتُعد سياسة تكميم الأفواه وقمع الحريات والكبت الإنساني ، والفني والأدبي ومصادرة حقوق الإنسان من أبرز التغييرات التي شهدتها الحياة الثقافية في العراق بعد عام ٢٠٠٣. ينظر: الإرهاب الثقافي في الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣، سولاف مصحب مهدي، مجلة الجامعة العراقية، ع ٥٥،ج٢، ٢٠٢١: ٤٠٤.

١٣ – ينظر" متغيرات السرد في الكتابة النسوية"، **مجلة كلية التربية/واسط**، عبدالله كاظم، ع١٥ ،٢٠١٤، ١٤.

١٤ – ينظر : " **حقوق الإنسان في رواية المرأة العراقية(٢٠٠٠–٢٠٠٨)**"، **ميسون صالح الحسيني**/ رسالة ماجستير، كلية التربية– ابن رشد/ جامعة بغداد، ٢٠١١: ١٣.

١٥ – ينظر: الفانتازيا في الرواية النسوية بعد عام ٢٠٠٣– دراسة في روايتي وفاء عبد الرزاق وإيناس أثير–، سعيد حميد، عباس الدده، **مجلة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية**،ع٢٢، ٢٠١٥: ٢٦٣.

١٦– ينظر: "**الرواية النسوية خارج فضاءات الوطن روايات عالية ممدوح إنموذجاً**"، هديل عبد الرزاق ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان ، ط١، ٢٠١٦: ١٨–١٩.

١٧ –" **التجريب في الرواية العراقية النسوية بعد عام ٢٠٠٣**": ١٨.

١٨ –." **التجريب وتحولات السرد في الرواية السورية** " ، محمد رضوان، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق،ط١،٢٠١٣ : ١٢٦.

١٩– ينظر: نظرة على مساهمة المرأة العراقية في الرواية العربية خلال القرن الواحد والعشرين، عبد الرحمن.

٢٠ – الحصار في الرواية العراقية (دراسة موضوعية مقارنة بين التكرلي وبتول الخضيري)، عبد الكريم السعيدي، مجلة جامعة ذي قار، ع٢، مج ٨، ٢٠١٢، ص:٣.

٢١ – الرواية العراقية صورة الوجع العراقي (ثماني سنوات في عمر الرواية العراقية ٢٠١٢–٢٠٠٤) ، حسين السكاف، دار الرواسم، بغداد، ط١، ٢٠١٤: ١٥.

٢٢ – ينظر: مسارات الرواية العربية المعاصرة، الكبير الداديسي ،مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت – لبنان، ط١،٢٠١٨: ١٨.

٢٣ – **ساعة بغداد**، شهد الراوي، دار الحكمة ، لندن،ط١،٢٠١٦ :١٣– ١٤.

٢٤ – المصدر نفسه:١٤.

٢٥– ساعة بغداد:١٥.

٢٦ – ساعة بغداد:١٤٢.

٢٧ – المصدر نفسه:١٤٢.

٢٨ – المصدر نفسه:٢٣٢.

٢٩ – ينظر : ساعة بغداد: ٤٨–٤٩.

٣٠ – ساعة بغداد: ٤٨–٤٩.

٣١ – المصدر نفسه: ٤٩.

٣٢ – ينظر: ساعة بغداد: ٦٠–٦١.

٣٣ – المصدر نفسه : ٦١.

٣٤ – الرواية العراقية صورة الوجع العراقي : ١٥.

٣٥ – الاحتلال الأمريكي للعراق واشكالية بناء الدولة، علي صباح صابر/ رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٤–٢٠١٥: ٤٤.

٣٦ – ساعدة بغداد: ١٦٤.

٣٧ – ينظر : المصدر نفسه: ٢٣٠.

٣٨ – المصدر نفسه:١٣٩.

٣٩ – ساعة بغداد : ٤٨–١٣٩–١٤٠

٤٠ – ينظر: المصدر نفسه: ١٨٨.

٤١ – ساعة بغداد:١٩٩.

٤٢ – ينظر: المصدر نفسه: ١٤٠.

٤٣ – ينظر: المصدر نفسه: ١٨٨.

٤٤٤٤ – ساعة بغداد: ١٨٩.

٤٥ – ينظر :المصدر نفسه :٢٣٨.

٤٦ – ساعة بغداد: ١٤٢.

٤٧ – التجريب في الرواية العراقية النسوية بعد عام ٢٠٠٣، : ٢٢٢–٢٢٣.

٤٨– ساعة بغداد: ١١٦.

٤٩ – ينظر ساعة بغداد: ١٤٠.

٥٠ – ينظر: المصدر نفسه: ٤٤،٦٠.

٥١ – ساعة بغداد: ٨٧.

٥٢ – المصدر نفسه: ٨٧– ٨٨.

٥٣ – ينظر : ساعة بغداد:١١٦–١١٧.

٥٤ – المصدر نفسه: ١٧٩.

٥٥ – المصدر نفسه: ٩٣.

***المشعوذ هو رجل يقرأ الطالع ظهر في بغداد وكان يتنقل بين المناطق، بهندام حسن، وبلحية مشذبة جداً، كان هذا الرجل مريباً بعض الشيء وغريب الأطوار، يعرف أسماء أفراد أي عائلة بمجرد أن يذكر أمامه فرد واحد منها، كانت النساء تتهافت عليه يقرأ لهن طالع المستقبل ويكشف الأسرار ويحذرهن من البقاء في بغداد، قرأ طالع شروق فقال لها: ((سيتقدم لك شخص طالباً يدك من أهلك نهاية هذا الشهر. – لا توافقي، ارفضيه على الفور... يا ابنتي أعرف أنه يحبك، والله أعرف ذلك، وأعرف أنك تذوبين فيه حبّاً، وأعرف قصتكما كلها... ماذا يهمني إذا كانت الحياة تعجبك كأرملة، تهتم لأمر صبي يتيم لم يرَ أباه في حياته.)). ينظر :ساعة بغداد: ٧٦–٧٨.

٥٦ – ينظر : ساعة بغداد :١٣٣–١٣٦.

المصادر والمراجع :

المصادر :

- ساعة بغداد، شهد الراوي، دار الحكمة ، لندن،ط٤،٢٠١٦ :١٣- ١٤

المراجع:

أولاً: الكتب

- الرواية العراقية صورة الوجع العراقي (ثماني سنوات في عمر الرواية العراقية ٢٠١٢-٢٠٠٤) ، حسين السكاف، دار الرواسم، بغداد، ط١، ٢٠١٤.
- الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، ت. ودراسة عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧.
- التجريب وتحولات السرد في الرواية السورية " ،محمد رضوان ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق،ط١،٢٠١٣.
- التجريب في الرواية العراقية النسوية بعد عام ٢٠٠٣"، سعيد حميد كاظم، تموز للطباعة والنشر، دمشق،ط١ ، ٢٠١٧.
- رواية المرأة العربية من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٧ دراسة في ضوء النقد النسوي"، هدى الشيباني ، ،وزارة الثقافة العراقية، ط١، ٢٠١٣.
- الرواية النسوية خارج فضاءات الوطن روايات عالية ممدوح إنموذجاً"، هديل عبد الرزاق أحمد ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان،ط١،٢٠١٦.
- الرواية النسوية العربية (المرأة في عالم متغير)"، نجم عبدالله كاظم، وآخرون، ، دار كتارا للنشر،ط١، ٢٠١٨.
- ١٠٠ عام من الرواية النسائية، بثينة شعبان، دار الأدب ، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- مسارات الرواية العربية المعاصرة، الكبير الداديسي ،مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت – لبنان، ط١،٢٠١٨.
- الموجز في الرواية العراقية الحديثة ٢٠١٧-٢٠٠٠، عبد الزهرة عمارة ، عمارة برس للطباعة والنشر، العراق،ط١، ٢٠١٧.

ثانياً: الدوريات:

- الحصار في الرواية العراقية (دراسة موضوعية مقارنة بين التكرلي وبتول الخضيري)، عبد الكريم السعيدي، مجلة جامعة ذي قار، ع٢، مج ٨،٢٠١٢.

- الحرب في الرواية النسوية العراقية في الخارج" ، غادة جمال مكي ، مجلة جامعة زاخو، ٢٠١٣، ع٢.
- الإرهاب الثقافي في الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣، سولاف مصحب مهدي، مجلة الجامعة العراقية، ع ٥٥،ج٢، ٢٠٢١.
- الحرب باعثاً ابداعياً في الرواية العراقية في المنفى، م.م ميثاق حسن عطية، أ.م.د ناهضة ستار عبيد، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ،مج ١٧،ع ٤.
- الحرب في الرواية النسوية العراقية في الخارج (٢٠٠٣-٢٠١٠)"، غادة جمال مكي، داود سلمان، مجلة كلية التربية للبنات، ٢٠١٧، مج ٢٨؛ع٢.
- حروب الاحتلال والتدخل في الرواية العراقية(٢٠٤٤-٢٠١٣) وروايات الكاتب الأمريكي خالد حسيني : دراسة ثقافية مقارنة، علي عبد الحسين شايع، يوسف محمد اسكندر ،مجلة الآداب، ملحق٢، ع١٣١، ٢٠١٩.
- الرواية النسوية في العراق مطالعة تاريخية، وارد بدر السالم، مجلة الجديد الإلكترونية، ع٦٩، تشرين الثاني ٢٠٢٠.
- الفانتازيا في الرواية النسوية بعد عام ٢٠٠٣- دراسة في روايتي وفاء عبد الرزاق وإيناس أثير-، سعيد حميد، عباس الدده ،مجلة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية،ع٢٢، ٢٠١٥.
- متغيرات السرد في الكتابة النسوية، عبدالله كاظم ،مجلة كلية التربية/واسط، ع١٥ ،٢٠١٤.
- نظرة على مساهمة المرأة العراقية في الرواية العربية خلال القرن الواحد والعشرين، عبدالرحمن ،مجلة أقلام الهند، مجلة إلكترونية فصلية محكّمة،ع٤،أكتوبر - ديسمبر ٢٠٢٠.
- الوطن في الرواية النسوية العراقية دراسة في ثلاثة نصوص مختارة "، نصرة جدوع، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب ، ٢٠١٧، ع٢٤.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

- الاحتلال الأمريكي للعراق واشكالية بناء الدولة، علي صباح صابر/ رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٤-٢٠١٥
- حقوق الإنسان في رواية المرأة العراقية(٢٠٠٠-٢٠٠٨)"، ميسون صالح الحسيني/ رسالة ماجستير، كلية التربية- ابن رشد/ جامعة بغداد، ٢٠١١.
- العالم الروائي لعالية ممدوح "، هديل عبدالرزاق، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد / كلية الآدب،٢٠١٠.